أسبوع البر
وفريضـــة الزكاة

كان أسبوع البر فى الشهر الماضى من أهم أحداث هذا الشهر ، فقد نبه إليه رفعة رئيس الوزراء فى كلمته ليلة عيد الجلوس الملكى حيث نشأت فكرته بهذه المناسبة السعيدة ، وفى ذلك يقول رفعته :

" رأينا الملك المحبوب حفظه الله ورعاه ، يتجه أول ما يتجه بتفكيره وعنايته فى هذا اليوم المجيد إلى الفقراء والمعوزين فيعمل على تخفيف و يلاتهم وتدبير حاجاتهم وشفاء نفوسهم المكلومة من بعض ما تعانيه من الآلام . فكان لزاما علينا وعلى سائر المصريين أن ننهج نهج المليك فى عطفه وحنانه وبره و إحسانه ، فنبادر بالمعونة الشاملة إلى هؤلاء الفقراء البائسين "

وقد كان هم جلالة المليك فى كل مناسبة أن يوجه الأفكار وجهة البر بالطبقات المحرومة وأن يكون جلالته فى ذلك قدوة ، ومشروع مكافحة الحفاء — وهو المشروع الذى كان من صنع جلالته وحده — دليل على جميل رعايته للتوجيهات الاجتماعية .

وقد نهجت هذا النهج لجنة الاحتفالات العامة بالأعياد الملكية بتوجيه جلالته و إرشاده السامى بفاء فى بيانها هذا العام " أن مجموع ما تلقته من الاكتتابات كان أربعين ألف جنيه أنفقت منها ٨,٥٠٠ جنيه فى بناء خمسة مطاعم للشعب و ٣,٠٠٠ جنيه لإطعام الفقراء و ١٠,٠٠٠ جنيه لمشروع إنقاذ الطفولة المشردة ؛ وأقامت جناحا بملجأ أبناء السبيل بلغت نفقاته ٧٥٠ جنيها وصرفت لكساوى الفقراء ٣,٠٠٠ جنيه ، وأعانت مشروع مقاومة الحفاء بمبلغ ١,٠٠٠ جنيه ، وأنفقت ٧٠٠ جنيه لشراء لحوم لتوزيعها على الفقراء و ٥٠٠ جنيه للعائلات الفقيرة التى أخنى عليها الدهر و ١٠٠ جنيه لشراء فواكه للملاجئ و ٥٠٠ جنيه لفقراء السودان . ولم تنفق فى الزينات إلا ٢٥٠ جنيها أخذت مصلحة التنظيم معظمها لصيانة أدوات الزينة وتجديدها " .

كانت فكرة " أسبوع البر " إذن — وهذا واتجاه جلالة الملك — خير تحية ترفع إلى جلالته فى عيد جلوسه من رئيس وزرائه . وقد قامت على تنفيذ تلك الفكرة وتجسيم هذه التحية حرم رفعته فأخرجت الفكرة إلى حيز التنفيذ وقامت بتنظيم حفلاتها وتنسيق خطواتها حتى نجحت ذلك النجاح الكبير و بلغت قوائم التبرعات حوالى خمسة وثلاثين ألفا من الجنيهات .

وقد اشترك فى الدعاية للمشروع بعض وزراء مصر وكبرائها وأدبائها ، وورد فى كلماتهم التى ألقوها من محطة الإذاعة فقرات ذات معنى يحسن أن يهضمه المستمعون والقراء ، وأن يدركه على وجهه الأغنياء فى هذا البلد والفقراء سواء ، ونحن نبرز هذا المعنى الذى نشير إليه فى مقتطفات سريعة من بعض هذه الخطب .

وردت فى كلمة رفعة رئيس الوزراء هذه الفقرات :

" أيها المواطنون الأعزاء إننى إذ أدعوكم إلى مد يد البر والإخاء إلى إخوانكم الفقراء ، إنما أدعوكم إلى أنبل الفضائل وأكرمها على الإطلاق ، لأنها ملاك كل فضيلة وأساس كل خلة نبيلة وقوام الخير والمروءة والإحسان . وما البر إلا الرحمة والشفقة والحنان والشعور الحقيق بمبدأ الحرية والإخاء والمساواة إذ لا يستحق أن يسمى إنسانا من لا يشعر بحق أخيه الإنسان فى مباهج الحياة ومجالى المسرات . . . . لذلك كان شعور البر بين الأمم عنوان سموها الأدبى وكمالها الخلق والدليل الساطع على أن كيانها الاجتماعى يقوم على أساس سليم وطيد" .

ثم إن البر من بعد هذا هو أقوى أسباب الهناء والسعادة واطمئنان النفوس ، وأغنى سعادة الباذلين ، قبل سعادة الآخذين إذ ليس أجلب لرضا النفس وراحة القلب وهناءة الضمير من أن تعلم أنك أطعمت جائعا أو كسوت عاريا أو شفيت مريضا أو واسيت بائسا نكبته الأيام وبرحت به الآلام" .

وجاء فى كلمة معالى وزير الشئون الاجتماعية هذه الفقرات :

" من يظن أن البر هو مجرد تفضل من غنى على فقير فقد أخطأ . إنما البر هو ضريبة الانسانية فى أسمى معانيها فرضتها على الإنسان لأخيه الإنسان .

" وليس البر هو مجرد الاحسان ، ولكن البر فى أجمل صوره هو أن نرتقى بإحساساتنا وأن ننتزع أنانيتنا ، فنشاطر البؤساء بؤسهم . وطريدى هذه الحياة القاسية آلامهم .

" ليكن الاحسان خلة فى نفوسنا ، وسليقة فى طباعنا ، ولترهف مشاعرنا حتى نؤمن أن حاجتنا الى لذة البر وثواب الاحسان أشد من حاجة الفقير الى صدقتنا وبرنا .

" لنذكر دائما أن البر واجب من واجباتنا ، وحق فى أعناقنا ، فلا نؤديه فخورين أو مختالين أو ممتنين" .

وفى حديث حضرة صاحب العزة الدكتور طه حسين بك جاءت هذه الفقرات :

" ليست الديمقراطية نظاما سياسيا أو اجتماعيا فحسب ولكنها خلق قبل هذا كله . وإذا كانت الديمقراطية تعتمد على المساواة وعلى الإخاء وعلى الحرية فمعنى هذا أن الخصال الثلاث

يجب أن تكون جزءا مكونا لأخلاق الناس ، بحيث تكون المساواة شيئا قد استقر فى أخلاق الناس وامتزج بشعورهم ، فأحس كل واحد منهم بأن لا فرق بينه و بين غيره لا فى الحقوق ولا فى الواجبات ولا فيما يجب أن يكون عليه من المعاملات مهما تختلف .

" والعدل كذلك ليس شيئا يقره القانون أو يفرضه الدستور أو تقتضيه الحياة الاجتماعية ، و إنما هو خلق قبل هذا كله ، فاذا كان العدل من الأشياء التى تزدان بها الحياة المتحضرة ، حياة الأمم الراقية ، فيجب أن تزدان به نفوس أبناء هذه الأمم قبل أن تزدان به الحياة العامة ويجب أن يكون العدل شعورا متغلغلا فى نفوس الناس ، مستقرا فى قلوبهم ، مسيطرا على ما بينهم من العلاقات .

" و إذن فالبر الذى تدعون اليه هـذا الأسبوع لا ينبغى أن يفهم على أنه تطول من الأغنياء والقادرين على الفقراء والبائسين ، ولا ينبغى أن يفهم على أنه شىء ينبغى أن تزدان به الحياة . حياة الأمم الراقية المتحضرة ، فيقال : إن هذه الأمة تمتاز من بين الأمم بأن اغنياءها يجودون على فقرائها وأن أقوياءها يرحمون ضعفاءها ، و إنما يجب أن يكون البر خلقا من أخلاق المصريين " .

ثم يقول :

إنه ليس من مقومات الحياة الصحيحة المتحضرة أن يكون بيننا قوم ينعمون بالحياة على حساب قوم يشقون بها ، و إنما يجب أن يكون المصريون شركاء فيما أتاح الله لهم من نعيم وما فرضه عليهم من آلام " .

وطالب الدكتور بأن ينزل الأغنياء القادرون عن كثير من هذا الفضل الذى يملكونه ولا يحسنون التصرف فيـه للتخفيف عن الذين لا يجدون ما يعالجون به أمراضهم وعللهم ، وعن الذين لا يجدون ما يستعينون به على احتمال الحياة وآلامها وشقائها .

* * *

تتجه هذه الكلمات وجهات مختلفة ولكن تتفق فى أمور ثلاثة :

الأول : أن البر ينبغى أن يكون إحساسا نفسيا أو خلقا من الأخلاق الأصيلة فى نفوس الشعب المصرى .

والثانى : أن الديمقراطية بأسسها الثلاثة — العـدالة والحرية والمساواة — لا تستقيم إلا على أساس هذا الشعور .

والثالث : أن البر ليس تفضلا من الأغنياء على الفقراء ولكنه واجب محتوم ودين فى عنق أولئك لهؤلاء .

وهذه المعانى هى التى أردنا إبرازها بتلك المقتطفات . فالواقع أن الإنسانية اليوم — إن لم تكن فى جميع العصور — تتأذى من أن يعد البر تفضلا من غنى على فقير ، تتأذى من شعور الغنى بهذا التفضل ومن شعور الفقير به أيضا . فهى تجعل هذا البر فريضة على القادرين وحقا للمحتاجين .

ولعل أوضح وأقوى تعبير عن هذه الحقيقة قول القرآن الكريم : « وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » هكذا « حق معلوم » ونصيب مفروض . ولعل الإسلام قد جعل الزكاة فريضة إمعانا فى تأكيد هـــذا المعنى ، حتى لا يتطاول الأغنياء على الفقراء بما ينفقون وحتى لا يستشعر هؤلاء ذل الشعور بالفضل أمام المتفضلين .

وها هى ذى وزارة الشؤون الاجتماعية تفكر تفكيرا جديا فى تحقيق هذه الحكمة الإنسانية الكبرى التى شرعت الزكاة لتحقيقها ، فتعقد اللجان لإعادة هذه الفريضة على القادرين . الفريضة التى شرعها الإسلام منذ أربعة عشر قرنا ، فإذا بأحدث النظريات الاجتماعية فى القرن العشرين تتفق معها فى جعل البر فريضة على القادرين وحقا للمحتاجين حتى لا يتأذى شعور الفقراء وحتى لا يتطاول عليهم الأغنياء .

ولم تجد الوزارة عنتا فى فرض هذه الضريبة على أسس من الديانات السماوية جميعا . فأما الإسلام فحكمه معروف . وأما اليهودية فتفرض الصدقة بنسبة أكبر مما تنويه الوزارة . وأما المسيحية فروحها وتعاليمها تجعل البر فريضة بأوسع معانيها وحدودها .

فعلى بركة الله وتوفيقه فلتسر الوزارة فى هذا الطريق .